

المعتقلات الفرنسية في الجزائر خلال الثورة التحريرية

أ. نورالدين مقدر

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

ملخص :

من الأساليب التي استعملها الاستعمار الفرنسي في الجزائر عقب اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 إقامة المعتقلات، والزج فيها كل من أشتبته في أن له علاقة بالثورة. لكن الكثير من تلك المعتقلات حوّلها المعتقلون منابرا للتحرر ودعم الثورة. ويعتبر معتقل الشلال بمنطقة الحضنة الذي أقيم في ماي 1955 نموذجا لتلك المعتقلات. وفي هذا المقال سنتطرق إلى: الفرق بين المعتقلات والمحتشدات والسجون وأهم المعتقلات التي أنشأتها السلطات الفرنسية في الجزائر أثناء الثورة التحريرية ومعتقل الشلال بمنطقة الحضنة (الحياة داخل المعتقل، أنواع وأساليب التعذيب في المعتقل، صور من النضال ودعم الثورة داخل المعتقل، نهاية المعتقل).

Abstract

From the methodes that were used by the french colonialism in Algeria after the outbreak of the revolution of independence in Novembre 1954: establishing detention centers and throwing in them all people who had a relation with the revolution. But a lot of these detention centers became tribunes for supporting liberation and revolution. The detention center in "Chellal" in the area of "Hodna" which was established in May, is considered as a model and in this article we look at: The difference between detention centers, camps and prisons and The most important detention centers that were set up by the french authorities in Algeria during the Algerian revolution for independence and The detention center of "Chellal" in area of "Hodna" (life inside the prison, types and methods of torture in detention, pictures of the struggle in the prison, the end of the detention center and transfer of detainees to "Djorf").

بعد اندلاع ثورة التحرير الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954، وتوسع مجالها الجغرافي، وزيادة نشاط عملياتها العسكرية ضد قوات الاستعمار ومراكزه، سارعت السلطات الفرنسية إلى اتخاذ إجراءات عسكرية وسياسية وقانونية لمواجهة الوضع في الجزائر. ومن بين تلك الإجراءات إصدار عدة قوانين استثنائية منها قانون حالة الطوارئ الصادر في 03 أبريل 1955 وإقامة المعتقلات.

وفي هذا المقال سنتطرق لأهم المعتقلات التي أنشأتها السلطات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة التحريرية وتصنيفها، بعد ان نبين الفرق بين المعتقل والمحتشد والسجن لأن هناك الكثير ممن يخلطون بينها ثم نأخذ معتقل الشلال بالمسيلة أنموذجا لتعرف أكثر عن الحياة بداخل تلك المعتقلات من خلال الذين عاشوا بداخلها وكيف اتخذها المعتقلون منبرا للتحرر؟

الفرق بين المعتقل والمحتشد والسجن:

- المعتقل:

لغة: جاء في بعض قواميس اللغة العربية ومعجمها مفردة "معتقل" من فعل "إِغْتَقَلَ" بتسكين العين وفتح ما بعدها، وتعني ألقى القبض وحبس. والاعتقال وردت بمعنى قبض على شخص وسجنه¹. و"المُعْتَقَل" اسم مفعول، جمعه الْمُعْتَقَلُونَ هو المسجون، أو المحجوز عليه. والمكان المخصص لهم يسمى معسكر اعتقال يحجز فيه أسرى الحرب المدنيون والموقوفون والمبعدون السياسيون والمنفيون والمشبوهون²

لم يستعمل لفظ المعتقل عند العرب القدماء كثيرا، إذ كانوا يستعملون الأسر والسجن والحبس أما لفظ اعتقال فقد أستعمل كالتالي: عقله عن حاجته؛ أي حبسه.

اصطلاحا: "المعتقل" هو الفرد الذي يعتقل وفق تدابير أمنية بهدف حرمانه من حريته والعمل على تغيير سلوكه بأساليب مختلفة، والنزج به في معسكر تقررته السلطة الادارية لأنه يمثل خطرا على الأمن والنظام. أما المعتقل كمكان فيطلق على مكان يجمع فيه الناس، وتقييد حريتهم³. وهو أيضا المكان الحروس الذي كان الفرنسيون يمحسون فيه الوطنيين والمناضلين. وخلال الثورة التحريرية عادت مكانة المعتقل كمصطلح تاريخي، إذ أصبح يعني عند غالبية الشعب

(1) _ المنجد في اللغة والأعلام، مادة عقل، ط2، دار المشرق، بيروت 1973، ص 521.

(2) _ المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مادة عقل، ط2، دار المشرق، بيروت، 2001، ص 1003.

(3) _ جزار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، مادة عقل، الجزء ص ي، ت: منصور القاضي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص 1542.

الجزائري الحبس أو السجن¹. ويطلق على كل مكان يُجمع فيه الناس وتقيّد حريتهم فيه ويساقون إليه نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة. فلا يتعرض من في المعتقل للمحاكمة.

ويتعرض المعتقلون للتعذيب النفسي؛ لأنهم ليسوا مجرمين حتى يبت في أمرهم، وتختلف حياتهم في المعتقل باختلاف الإدارة التي تسيروهم، ولا يخضعون للباس معين، ويتمتعون ببعض الحريات داخل المعتقل؛ كالإطلاع على الصحف والسماع للإذاعة والتنقل في المراقد والفسحة في الفناء وبممارسة الرياضة والتعليم الفردي والجماعي².

- المحتشد:

لغة: جاءت كلمة المحتشد من حشد أي تجمهر، تجمع، حشد السكان في مدينة وجمعها حشودا، أي جمع الناس في مكان محدود نسبيا، ومنها جاءت كلمة محتشد التي تعني مجتمع ومحفل³.

اصطلاحا: المحتشد عبارة عن مستوطنة أقيمت حديثا تظم وطنيين غير محكوم عليهم قضائيا، تحيط بها أسلاك شائكة ويحرسها الجنود⁴. وبالتالي فهو مركز لتجميع السكان، حيث أن السلطات الفرنسية حاولت إقامة مراكز تجمع مع بداية الثورة للسكان أطلق عليها في غالب الأحيان اسم المحتشدات وحشدت فيها عائلات بكاملها تم ترحيلها. ويراعى في ذلك قربها من الثكنات العسكرية والطرق الرئيسية، حيث يمكن مراقبتهم وإخضاعهم للعمل البسيكولوجي والهدف الحقيقي من هذه المحتشدات هو عزلهم عن الثورة وحرمانها من الدعم اللوجستيكي⁵.

- السجن:

هو بناء مخصص للمنحرفين، يتميز بهندسة معمارية تقام لحجز المعاقبين من أفراد المجتمع ويبنى عادة بالإسمنت المسلح وتوضع على نوافذه شبابيك حديدية وأبوابه صفائح من الحديد السميك، ويسجن فيه من ارتكب جرما أخلاقيا أو مخالفة لقانون المجتمع بناء على مواد قانونية معينة. والمسجون لا يتمتع بأي حق من حقوقه المدنية عقابا له. أما الفرق بينها ففي المعتقلات أشخاص بمفردهم، أما في المحتشدات يتم حشد عائلات بكاملها وحتى قبائل وأعراش، بالإضافة

(¹) _ عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954-1962)، مادة معتقل، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 112.

(²) _ محمد الطاهر عزوي، ذكريات المعتقلين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 13.

(³) _ المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق، مادة حشد، ص 288.

(⁴) _ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 106.

(⁵) _ عبد الكريم بوالصفصاف، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، (1954-1962)، مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف، 1998، ص 53.

إلى أنهما يختلفان في طريقة التسيير والتنظيم الإداري يشتركان في انهما تحت الرقابة والمتابعة وطائفة التهديد بممارسة التعذيب، أما لسجن قديم قدم الحضارات بينما المعتقل والمحتشد لا تظهران إلا في الحروب والصراعات بين الدول. وفي المعتقل يحشر ذوي الأفكار الحرة والاتجاهات السياسية المختلفة، وإذا زالت الحروب، وانتهت زالت المعتقلات والمحتشدات، ولا يبقى إلا السجن وهو مستمر ما استمرت الحياة المدنية والاجتماعية المنظمة¹.

أهم المعتقلات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة وتصنيفها:

بعد ما رأينا الفرق بين السجن والمعتقل والمحتشد سنتطرق للمعتقلات التي أنشأتها السلطات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة التحريرية، حيث ارتأت السلطات الفرنسية بعد اندلاع الكفاح المسلح أن تقوم بحملات الانتقاء ممن يتعاطفون مع الثورة، أو ممن كانوا ينشطون في الحركة الوطنية سابقا. فأخذت تجمع كل من شكت فيه، أو قام بعمل ما لصالح الثورة من كل المناطق التي امتدت إليها الثورة². ولذلك فتحت المعتقلات وفي اعتقادنا وحسب ما توصلنا إليه في هذا الموضوع يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع:

1- المعتقلات السياسية:

هذا النوع من المعتقلات سمّتها السلطات الفرنسية مراكز الإيواء "Les Centres d'hébergements"، وسمّيت المعتقلين بها بالمقيمين أو المحتجزين. وقد لجأت إلى استخدام هذه التسمية المهدبة تفاديا لضغوطات الرأي العام الفرنسي، والبرلمان والاحتجاجات المحتملة عند سماع كلمة محتشد أو معتقل اللذين لهما وقع سيئ في نفوس الفرنسيين الذين اعتقلوا بالمعتقلات النازية³. والحكومة الفرنسية التي قدمت مشروع قانون حالة الطوارئ التزمت، وتعهدت أمام النواب انه لا يمكن أن تكون هناك معسكرات اعتقال في الجزائر. كما أكد ذلك السيد "جاك سوستال" الحاكم العام للجزائر الذي كان من أبطال المقاومة الفرنسية ضد الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية وذاق تحت نيران الألمان طعم الظلم والاستبداد فقال بأنه لن يسمح بأن يقع في القطر الجزائري تحت سلطته وأيام ولايته شيء قد ثار ضده وحمل بنفسه السلاح لمقاومته في بلاده⁴. ولكن الواقع فيما بعد حدث العكس، وذلك

(1) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 11 - 13.

(2) - محمد الطاهر عزوي، "المعتقلات في الجزائر أثناء الثورة التحريرية و دور ضباط الشؤون الأهلية (لاصاص) في الحرب النفسية داخل المعتقلات"، مجلة التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري لولاية باتنة، العدد 03، 1988، ص 77.

(3) - "جريدة البصائر"، كلا. بل هي محتشدات"، العدد 324، بتاريخ 25 جوان 1955، ص 01.

(4) - "جريدة البصائر"، ظلمات بعضها فوق بعض"، العدد 321، بتاريخ 03 جوان 1955، ص 01.

من خلال إقامة معتقلات والتي سميت تظليلا بمراكز الإيواء حيث فتحت السلطات الفرنسية أول معتقل في نهاية شهر أفريل 1955 في منطقة خنشلة، تم اعتقال فيه أكثر من 160 شخص، ثم أعقبته بأربعة معتقلات أخرى ابتداء من شهر ماي 1955 فأنشأت معتقل آفلو بعمالة وهران، ومعتقل قلعة السطل بعمالة الجزائر، ومعتقل الشلال بعمالة قسنطينة، ومعتقل عين لعمارة بإقليم الجنوب. ويعتبر معتقل الشلال من أوائل المعتقلات التي أنشأها الاستعمار في الجزائر وذلك في 04/ماي/1955.

أما عن المعتقلين أو المحتجزين في هذه المعتقلات فهم من السياسيين والإطارات القيادية في الحركة الوطنية والطلبة والمشبوهين الذين تريد السلطات الفرنسية إبعادهم والتخلص منهم. ولما انتشرت الثورة أصبحت تعتقل كل من حامت حوله الشبهة أو خرج من السجن¹. ووصل عدد المعتقلات إلى ستة مع نهاية 1955 وهي: معتقلا لودي والبرواقية بعمالة الجزائر، معتقلا آفلو وبوسوي، ومعتقل سان لو بعمالة وهران، ومعتقل الجرف بعمالة قسنطينة، ووصلت إلى أحد عشر عام 1960².

وقد روعي في اختيار أماكن إقامة المعتقلات المناطق الجرداء والقاحلة وتلك التي تتميز بحرارتها صيفا والبرودة القاسية شتاء، وأماكن نائية وخالية من السكان³. وأغلب المعتقلات في البداية اختيرت لها المناطق الجنوبية من كل عمالة بعيدا عن العمران والمواصلات حتى تكون الطبيعة إحدى وسائل التعذيب⁴.

وهذه المعتقلات التي سمينها بالمعتقلات السياسية نذكر منها:

- معتقل لودي:

يقع غرب مدينة المدية، كان عبارة عن مخيم صيفي لأبناء عمالة السكة الحديدية، ثم حول إلى معتقل. وهو يشكل استثناء واضحا بين كل المعتقلات وكل المحتشدات والسجون التي أقيمت في الجزائر، فهو مخصص للشيوعيين المنتمين للحزب الشيوعي الجزائري المنحل، نظام الاعتقال به مثل نظام الداخلية بالثانوي، يتمتع فيه المعتقلون بأغطية جديدة وأسرّة وعيادة

(¹) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 20.

(²) - صالح بن القبي، عهد لا عهد مثله أو الرسالة النائية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2004، ص 164.

(³) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 15.

(⁴) - Yves Courrière, **La guerre d'Algérie, Temps de léopard**, édition Rahma, Alger, 1993, p103.

ومكتبة. وزيارة الأقارب والأصدقاء غير ممنوعة والرسائل لا تحجز، والدروس تنظم من طرف المعتقلين الذين يقضون بعضا من وقتهم في أمسيات ترفيهية، ولا يعانون من سوء المعاملة¹.

- معتقل بول كازيل (عين وسارة):

افتتح بتاريخ 06 فيفري 1957، يقع على بعد 60 كلم من مدينة الجلفة². نصبت الخيام للمعتقلين وأحيطت بها الأسلاك الشائكة وأبراج للمراقبة، يتميز برداءة الطقس ووحشة المكان، أما عن حياة المعتقلين بهذا المعتقل يستيقظون على الساعة السابعة صباحا ويجرون على العمل طول النهار حتى السادسة مساء، ويعملون بصورة دائمة حتى في أيام الأعياد. بلغ عدد المعتقلين فيه 2400 في شهر أفريل سنة 1957، منهم التجار والعمال والأطباء والمدرسون³.

- معتقل البرواقية:

هو عبارة عن بناية كبيرة إلى جانب السجن، كانت في السابق عبارة عن مصحة عسكرية ثم حوت إلى معتقل. يتميز بالمعاملة السيئة للمعتقلين، وإذا فرّ أحدهم تزداد المعاملة سوءا ويعاقبون بالتقتير في التموين⁴.

- معتقل الدويرة:

يقع غرب الجزائر العاصمة بحوالي 30 كلم، أنشئ سنة 1958 للمثقفين والذين سرحوا من المعتقلات والسجون، وألقي عليهم القبض مرة أخرى. وأول ما يصادف المعتقلين عند دخولهم العبارة التالية: "الفم المغلوق والقبر المفتوح" مكتوبة بأحرف بارزة و بلون أحمر في عدة جهات وخاصة على أبواب الحجز المعدة للبحث والاستنطاق⁵.

- معتقل تفسون:

يقع على مقربة من مدينة بوسماعيل بتيبازة غرب الجزائر العاصمة، يتكون هذا المعتقل من جناحين: الأول خصص للإدارة ومراقدة للجنود العاملين به ومطعم، والجناح الثاني مخصص

(¹) - هنري علاق، مذكرات جزائرية، ذكريات الكفاح والآمال، ت: جناح مسعود وعبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 247. ينظر أيضا محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 18 - 19.

(²) - Pierre Vidal Naquet, **La Raison d'Etat**, Texte publiés, par le comité Maurice Audin, Les éditions de Minuit, Paris,(S.D), pp 123 - 124.

(³) - جريدة المجاهد، " قصة سجين عائد من محتشد كازيل "، العدد 14، بتاريخ 1957/12/15، ج 01، ص 05.

(⁴) - محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 1990، ص 129.

(⁵) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 19. ينظر أيضا محمد الصالح بن عتيق، المرجع السابق، ص 141.

للمعتقلين الجزائريين حيث يتكون من 15 بناية كبيرة من بقايا الحلفاء عند نزولهم بالجزائر خلال الحرب العالمية الثانية في نوفمبر 1942. به غرفتان كبيرتان خصصتا للنساء المعتقلات كل واحدة تضم 100 سرير.

وتفشون هو المعتقل الوحيد من المعتقلات السياسية الذي ضم معتقلين من النساء محاط بسياج وأربعة مراكز للحراسة.

- معتقل آفلو:

يقع في ولاية الأغواط حاليا، كان عبارة عن ثكنة عسكرية، حولت إلى معتقل بتاريخ 01 جوان 1955. وقد خصصته السلطات الفرنسية في البداية لقادة الحركات السياسية والإصلاحية، ونقلت إليه بعضا من معتقل الجرف، وكان يضم عناصر لا تجمعهم فكرة واحدة؛ أي أنهم كانوا ينتمون إلى تيارات مختلفة مما أدى إلى متاعب ومصاعب حالت دون تفاهم المعتقلين واتحادهم للقيام بعمليات احتجاجية خاصة كما أن الإدارة الفرنسية دست بينهم مخبرين¹.

- معتقل بوسوي (الضاية):

يقع جنوب سيدي بلعباس على مسافة 57 كلم، بدائرة تلاغ بمرتفعات الضاية، وهو عبارة عن حصن عسكري قديم، افتتحته الإدارة الفرنسية كمعتقل بتاريخ 16 أوت 1955، وتزايد أعداد المعتقلين به لذلك تم إنشاء معتقل بجانبه وأغلب المعتقلين به جاءوا من الأوراس والشرق الجزائري².

تعرض فيه المعتقلون للمداهمات والتعذيب، وكان فيه علي يحيى عبد النور³ الذي أشرف على الموت من شدة التعذيب. والكثير من المعتقلين من شوّهت أجسادهم⁴.

(¹) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 19.

(²) - المصدر نفسه، ص 16، ينظر أيضا، محمد الصالح بن عتيق، المرجع السابق، ص 87.

(³) - علي يحيى عبد النور: ولد عام 1927 بتيزي وزو، ناضل مبكرا في صفوف حزب الشعب وح.إ.ح.د، وساهم في تعبئة العمال الجزائريين للدفاع عن حقوقهم، والتحق بج.ت.و، وأنتخب عضوا في الاتحاد العام للعمال الجزائريين في فيفري 1956. أعتقل بمعتقل البرواقية وبوسوي، وأطلق سراحه سنة 1961. وواصل نضاله في صفوف إ.ع.ع.ج. وبعد الاستقلال تولى عدة مسؤوليات منها وزيرا سنة 1965. ومنذ سنة 1972 دخل ميدان المحاماة والدفاع عن حقوق الإنسان.

(⁴) - أحمد بلغيث، " ذكريات مناضل في المحتشدات "، مجلة أول نوفمبر، مجلة فصلية تصدر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين العدد 26، سنة 1978، ص 26.

- معتقل سيدي الشحمي:

يقع هذا المعتقل جنوب شرق وهران، فتح صيف 1957 لاستقبال المحولين إليه من معتقلي بوسوي والجرف. لا يتمتع فيه المعتقلون بأي استقرار ولو أن التعذيب والاضطهاد به اقل من معتقل آر كول¹.

- معتقل آر كول:

يقع هذا المعتقل شرق مدينة وهران. يعد من أشد المعتقلات؛ فهو معتقل التعذيب البدني والنفسي. وأغلب العاملين فيه من الإسبان².

- معتقل الشلال:

يقع جنوب مدينة المسيلة بنحو 37 كلم، لم يدم طويلا وأغلق بعد العاصفة التي اجتاحتها في شهر أوت 1955.

- معتقل الجرف:

يقع شرق مدينة المسيلة على بعد 18 كلم نقل إليه المعتقلون في شهر أوت 1955³.

2. معتقلات الانتظار:

و تسمى السلطات الفرنسية هذا النوع من المعتقلات بمراكز الفرز والعبور "Centre de Transit et de Tri" (C.T.T) التي أنشئت بعد معركة الجزائر 1957، وانتشر هذا النوع من المراكز في كل القطر الجزائري إذ أصبح لكل قطاع عسكري تقريرا معتقله الخاص الذي يمارس فيه تعذيب المشتبه بهم ثم تصنيفهم ففيهم من يقدم للمحاكمة، وفيهم من يرسل للمعتقلات السياسية، وفيهم من يسرح بعد فترة التعذيب، وفيهم من يقتل⁴.

وبلغ عدد هذه المعتقلات 86 معتقلا بحلول سنة 1960، يوجد بها 10 آلاف معتقل، وهي تدخل ضمن صلاحيات الجيش الذي يقوم باعتقالهم بتغطية قانونية من أجل أهداف عسكرية⁵. ويشير تقرير بعثة الصليب الأحمر الدولية المتكونة من خمسة مندوبين أنهم زاروا الجزائر

(¹) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 18.

(²) - المصدر نفسه، ص 17.

(³) - نفسه، ص 15 - 16.

(⁴) - المصدر السابق، ص 17.

(⁵) - Sylvie Thenault, **Personnel et Internés dans les Camp Françaises de la Guerre d'Algérie, Entre Stéréotypes Coloniaux et Combat pour L'indépendance**, Politix 2005/1, N°69, p 67, Disponible sur

في الفترة ما بين 12 ماي إلى 28 جوان 1956 ولم يتمكنوا من زيارة هذه المعسكرات بسبب العراقيل التي وجدوها من طرف المسؤولين العسكريين الفرنسيين الذين يشرفون عليها ويقومون فيها بممارسة التعذيب أثناء فترة التحقيق¹.

وقد نشرت جريدة المجاهد مقتطفات من التقرير الذي أعدته بعثة الصليب الأحمر الدولي عقب زيارتها لبعض معسكرات الاعتقال المختلفة في الفترة الممتدة ما بين 15 أكتوبر و17 نوفمبر 1959، فقرات هامة عن معتقل الانتظار ببرج منايل والذي وجدت فيه البعثة الدولية آثارا للتعذيب على أجساد المعتقلين، والذي تم بواسطة الماء والكهرباء أثناء التحقيق وأحيانا يعذبون داخل المعتقل نفسه، وأن الموقوفين به يعانون من صعوبات لا تعد ولا تحصى فبالرغم من مرور ثلاث سنوات على إنشائه إلا أن المعتقلين به لا يملكون أواني الأكل والأغطية، وهم يتناولون طعامهم في علب السردين والمصبرات².

ومن أشهر هذه المعتقلات في مقاطعة الجزائر معتقل بني مسوس، ومعتقل بوزريعة، ومعتقل عزازقة، أما في عمالة وهران فنجد معتقل الزاوية، بني بحدل، ندرومة، سعيدة. وفي عمالة قسنطينة معتقلات عين البيضاء والحامة ومزرعة امزيان وسد القصب بالمسيلة³.

3. المعتقلات العسكرية:

وهي خاصة بأفراد جيش التحرير الوطني الذين يلقي عليهم القبض وسلاحهم بين أيديهم. يلحقون عادة بشكنة عسكرية، أو بالوحدة التي أسرتهم، فهم من أسرى الحرب الذين لم يسعفهم الحظ للمثول أمام العدالة، يبقون قيد الاعتقال في أماكن سرية معزولين عن العالم، ويجبرون على القيام بالأعمال الشاقة، محرومين من كل الحقوق خاضعين لمعاملة قاسية وسيل من الإهانات المتوالية، تحت رحمة التعسف المسلط عليهم. أغلبهم تعرض للإغماء وحالات فقدان الوعي من جراء الإنهاك للأجساد سواء بالتعذيب أو بالاعتداءات المتكررة. والبعض فقد الحركة وأصيب في أحد أعضائه، وآخرون أصبحوا غير معروفين من كثرة التعذيب وتشويه الوجه. وآثار ذلك على باقي أجسادهم وفيهم من ذهب ضحية خدمة الحشب أو الاحتطاب⁴.

[http://www.carin.info/article.Php?ID REVUE.](http://www.carin.info/article.Php?ID%20REVUE)

(¹) - فرانسواز بيريه، نشاط اللجنة الدولية للصليب الأحمر أثناء حرب الجزائر (1954 - 1962)، منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، الجزائر 2007، ص ص 05 - 11.

(²) - جريدة المجاهد، "التقارير الدولية تفضح مجرمي الحرب الفرنسيين"، العدد 59، بتاريخ 1959/01/11، ج 02 ص ص 5 - 11.

(³) - جريدة المجاهد، "المختشات أيضا قوة للثورة"، العدد 90، بتاريخ 1961/02/27، ج 03، ص 05.

(⁴) - صالح بن القبي، المرجع السابق، ص 164.

ومن أهم هذه المعتقلات:

- معتقل قصر الطير:

يقع ببلدية قصر الأبطال، بسطيف، فتح سنة 1956 كمركز للتعذيب ثم حول إلى معتقل، إذ جعلت منه سلطات الاحتلال نموذجا شبيها بالمعتقلات النازية خلال الحرب العالمية الثانية، أو يفوقها وكان اللباس الذي يلبسه المعتقلون داخل هذا المعتقل من بقايا الجنود المشاركين في الحرب العالمية الثانية، ومن لباس عسكري يتكون من سروال وسترة فوقية، وحذاء يستمر مع المعتقل مدة سنة¹.

- معتقل بوغار:

يسمى أيضا بمعتقل مورون، يقع على بعد 03 كلم من بلدية بوغار بولاية المدية، بني قبل الحرب العالمية الثانية وخلاها أعتقل فيه الأسرى الإيطاليين من سنة 1942 إلى 1945. وأعيد فتحه خلال الثورة التحريرية، وتم اعتقال مئات المعتقلين من الجزائريين المشبوهين - في نظر السلطات الفرنسية- وحول إلى معتقل مخصص لأفراد جيش التحرير الوطني؛ أي الذين يمسكون والسلاح في أيديهم. بلغ عدد المعتقلين به نحو 900 معتقل².

هذه هي أهم المختشات والمعتقلات التي أقامتها السلطات الفرنسية في الجزائر خلال الثورة التحريرية، وكان يمارس بداخلها عمليات الاستنطاق والتعذيب بكل أنواعه من طرف جنود وضباط وأعوان فرنسا للقضاء على الثورة، وإطفاء لهيبها. كما تشكلت في أغلب هذه المعتقلات خلايا تابعة لجهة التحرير الوطني ونشطت وناضلت داخل تلك المعتقلات وحولها المعتقلون منابرا للتحرر.

معتقل الشلال بالمسيلة:

كانت منطقة الحضنة³ والتي تمثل المسيلة الجزء الأكبر منها قد أقيمت بها المعتقلات مع بداية الثورة، وارتبطت إقامة المعتقلات بمنطقة الحضنة بأحداث العمليات الأولى للثورة¹.

(¹) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 62. وينظر أيضا بلقاسم صحراوي، معتقل قصر الطير 1956-1962، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2006/2005، ص 14.

(²) - Association Historique et culturel du 11/12/1960, L'enfer du Camp Morand, Alger, 2009, p 20.

(³) - الحضنة: أطلق العرب اسم الحضنة على السهل الواسع الذي يمتد من السبخة المالحة جنوبا وبين السلسلتين الجبلتين الثلية والصحراوية من جبال الأوراس شرقا إلى جبال ونوغة غربا عبر جبال بوطالب، وسميت بالحضنة لاحتضانها وسط جبلي الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، ومنطقة المسيلة الجزء الأكبر منها، وحاليا يطلق على المسيلة عاصمة الحضنة.

وفي اعتقادنا أن السلطات الفرنسية اختارت منطقة الحضنة ومناطق أخرى داخلية لإقامة أولى المعتقلات في الجزائر، حيث أنشأت معتقل الشلال ثم معتقل الجرف بالحضنة ويعود ذلك إلى العوامل التالية:

- عامل الموقع الجغرافي للمنطقة: فهي منطقة وسطية أي منطقة تماس لعدة مناطق الثورة، المنطقة الأولى (الأوراس النمامشة) والتي تضم الجزء الشرقي من الحضنة الواقع شرق وادي القصب، الذي يقسم مدينة المسيلة إلى قسمين.

والملاحظ أن أغلب الأشخاص الذين اعتقلوا في معتقلي الشلال والجرف من الشرق الجزائري، خاصة المنطقة الأولى لارتباطها بالعمليات الأولى للثورة. كما أن الجزء الشمالي الشرقي من الحضنة يقع في نطاق الولاية الثالثة، ويقع الجزء الجنوبي من المسيلة في الولاية السادسة بعد مؤتمر الصومام 1956.

- عامل المناخ: حيث يتميز مناخ منطقة الحضنة بأنه مناخ قاري ويتأثر بالمؤثرات الصحراوية، صيفه حار وجاف، وشتاؤه بارد جدا، تصل درجة الحرارة في الشتاء إلى -1° وتصل في الصيف إلى أكثر من 45° في شهري جويلية وأوت. الرياح تكون شديدة البرودة في الشتاء وحارة وجافة في الصيف.

- عامل التضاريس: فهي تتكون من هضاب وسهول منبسطة في الوسط والسبخة (شط الحضنة) من الجهة الشرقية ومنطقة كثبان رملية في الجنوب، كما تحتوي على الكثير من الأودية كوادي القصب الذي يقسم مركز مدينة المسيلة إلى قسمين، والذي أقيم على حافته مركز للتعذيب سمي باسمه، وأودية أخرى كوادي لقمان ووادي اللحم ووادي مسيف وغيرها.²

وبالتالي فالعوامل الجغرافية والطبيعية في اعتقادنا كانت من بين أهم العوامل التي دفعت بالسلطات الفرنسية إلى اختيار منطقة الحضنة لإقامة معتقلين بها كانا من أهم المعتقلات التي أقامتها خلال الثورة التحريرية بالجزائر، وهما معتقل الشلال على بعد نحو 37 كلم جنوب مدينة المسيلة في منطقة شبه صحراوية مفتحة طبيعيا وسهلة المراقبة ونفس الشيء بالنسبة لمعتقل الجرف الذي يبعد بـ 18 كلم شرق مدينة المسيلة.

تم إنشاء معتقل الشلال استنادا لقانون حالة الطوارئ الصادر في 03 أفريل 1955، بالمكان المسمى حاليا العجيلة ببلدية خطوطي سد الجير دائرة الشلال. وهو معروف بمعتقل

(¹) - التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 01 جانفي 1959 إلى 05 جويلية 1962، ج 01، التقرير السياسي، 14 جويلية 1987، ص 176.

(²) - مديرية السياحة لولاية المسيلة، **مونتوغرافيا ولاية المسيلة**، 2008، ص 05.

الشلال، يبعد بنحو 37 كلم جنوب المسيلة، في سهل منبسطة فسيح خال من النباتات إلا بعض النباتات السهبية كالشيخ والحدج، في رقعة جرداء مترامية الأطراف¹. يقع في أرض منبسطة مالحة، يحده من الشرق الطريق المؤدية من المسيلة إلى بوسعادة ومن الغرب وادي اللحم، تتميز هذه المنطقة بالحرارة الشديدة².

يتكون من مجموعة مبان، محاط بأسلاك شائكة قامت بينها شركة كنزلاس "Gonzales" بمبلغ مالي قدره 3.199.000 فرنك³. ولما تعجلت السلطات الاستعمارية نتيجة اشتداد نشاط الثورة خاصة في منطقة الأوراس، والمنطقة كانت تابعة للأوراس في بداية الثورة، اكتفت بنصب عشرات الخيم التي تزداد بحسب الوافدين، ووصلت لإيواء حوالي 1000 معتقل حتى سمي معتقل الشلال بقرية الخيام. وكانت الخيمة تضم 10 معتقلين⁴.

ويعد معتقل الشلال من أوائل المعتقلات التي أنشئت في الجزائر أثناء الثورة التحريرية، والأول بمنطقة الأوراس⁵. حيث بعد انطلاق الثورة قامت السلطات الفرنسية برد فعل عنيف على السكان والوطنيين خاصة في منطقة الأوراس حيث أوقفت المناضلين والسياسيين والمثقفين ومناصري القضية الوطنية، ونقلتهم إلى معتقل الشلال الذي تم فتحه رسميا في بداية شهر ماي 1955⁶ قبل أن تكتمل به الأشغال. ولكنه لم يدم طويلا. وهو عبارة عن عشرات الخيم، وعلى مقربة من خيم المعتقلين وفي خط متواز تقوم بناءات خشبية خاصة بالإدارة.

تتميز الأرض التي أقيم بها المعتقل بانبساطها وانكشافها. كان يدير هذا المعتقل ضابط اسمه "هانس" يساعده في مهمة الأمن عناصر من الحركة وضابط شرطة مدني.

الحياة داخل المعتقل:

رغم أن معتقل الشلال لم يدم طويلا، حيث اشتغل خمسة أشهر فقط، ثم نقل إلى معتقل الجرف إلا أنه يعتبر من أهم المعتقلات تعذيبا للمعتقلين في السنة الأولى من الثورة⁷. وفي المقابل شهد حياة ثرية ومواقف وكفاح مستميتا ضد الإدارة الفرنسية التي اتخذت من التعذيب الشنيع وإهانة كرامة الإنسان عرفا وقانونا منتهكة بذلك كل الأعراف والقوانين الدولية، ومع

(¹) - أحسن بن بلقاسم كافي، نزيل المعتقلات (1955-1962)، مطبعة الوليد، الجزائر، 1985، ص 09.

(²) - محمد الطاهر عزوي، ذكريات المعتقلين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 15.

(³) - Archive de la commune mixte de M'sila, Boite N° 99, Dossier N° 04.

(⁴) - محمد الطاهر عزوي، المصدر نفسه، ص 36.

(⁵) - الهادي درواز، الولاية السادسة التاريخية - تنظيم ووقائع - (1954-1962)، دار هومة، بوزريعة، 2002، ص 89.

(⁶) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 36.

(⁷) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 40.

ذلك فكل المعتقلين الذين التقينا بهم أو قرأنا لهم يعتزون بمرحلة اعتقالهم؛ لأنها مرحلة تجسد الإرادة والصمود اللذين مكناهم من تحويل السجون والمعتقلات إلى معقل للكفاح والنضال ضد الاستعمار. ولم يستسلم أي مناضل صادق ومخلص أمام قساوة الحراس والجنود الذين تفننوا في تعذيب المعتقلين¹.

ومعتقل الشلال واحد من تلك المعتقلات التي عاش معتقلوه جحيما ومعاناة يعجز اللسان عن وصفها على حد قول من عاشوا فيه، وحتى بشهادة الفرنسيين أنفسهم، حيث وصف أحد مفتشي الإدارة في التقرير الذي أعده حول المعتقلات في الجزائر بأن معتقل الشلال يتميز بنظام قاس لا يوجد مثله في بقية المعتقلات وهو شبيه بالمعتقلات النازية². وفي المقابل يمثل صورة من صور التضامن بين المعتقلين، والتحدي والكفاح ضد الإدارة الفرنسية. وفيما يلي بعض النماذج من أساليب التعذيب وبعض الأمثلة من صور التضامن بين المعتقلين والتحدي والنضال ضد الإدارة الفرنسية وهذه الأمثلة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

1- أنواع وأساليب التعذيب في المعتقل:

يختلف التعذيب باختلاف أنواع المعتقلات، بحيث مع بداية الثورة وتطور أحداثها خاصة في منطقة الأوراس فتحت السلطات الفرنسية معتقل الشلال الذي كان جحيما لا يطاق، فظروف الحياة داخل هذا المعتقل يعتبر تعذبا في حد ذاته حسب شهادة بعض من اعتقلوا به.

- المعتقل عبارة عن خيم كل خيمة حشر فيها عشرة معتقلين يفترشون الرمل في حرارة مرتفعة جدا لا تطاق، يتصببون عرقا ولا ينامون من شدة الحر اللاهب.

- كثرة العقارب التي تزعج المعتقلين خاصة في الليل، ولم يسلم من لدغها إلا القليل. حيث يوميا يسقط ضحايا لتلك العقارب يلدغون ويحملون على عجل للعيادة وقاية من الموت فقط، وكان ذلك يحلو للحراس والجنود الفرنسيين³.

- أما عن التغذية فيصفها أحسن بن بلقاسم كافي وهو أحد المعتقلين في الشلال والجرف بأنها كانت من السوء والرداءة بحيث يبدو من الظلم للألفاظ إطلاق إسم التغذية عليها؛ فهي تسبب

(¹) - الجندي خليفة وآخرون، حوار حول الثورة، ج3، منشورات المركز الوطني للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص ص 90-91.
(²) - Sylvie Thenault, **Un drôle de justice les magistrats dans la guerre d'Algérie**, préface de Jean Jaque Beeker, postface de Pierre Vidal Naquet, édition la Découverte, Paris, 2004, p 36.

(³) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 36.

الأمراض الخطيرة وتقضي على من اضطر إليها بالموت البطيء. كانت الوجبات تطهى في صفائح كبيرة تسع لـ 200 لتر، توضع فيها غالبا ويوميا ماء ساخن ممزوج بجات فلفل. وقطعة من الخبز وحببات من التمر المسمى بالفشفاش الأمر الذي جعل المعتقلين عرضة لأمراض في الأمعاء، أما المراقبة الصحية فهي منعدمة نهائيا¹. وشرب الماء في الأواني التي يرميها الجيش الفرنسي في المزبلة بعد تنظيفها بالماء والرمل.

ومن بين أساليب التعذيب والإهانة العقاب الجماعي، فعندما يحدث أمر ما داخل المعتقل كانت الإدارة الاستعمارية في المعتقل تعاقب المعتقلين وتجرهم على الوقوف جماعات تحت أشعة الشمس الحارقة لساعات عدة مرات في اليوم².

- عقابهم فرادى كتكبيهم يوما كاملا تحت أشعة الشمس في عمود كهربائي، أو إدخال رؤوسهم في أحواض مائية ملوثة لمدة من الزمن. وخصصت أحواض مائية لذلك الغرض ما زالت تلك الأحواض شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا.

- تسخير المعتقلين للعمل في سد فلاح حيث كان اتفاق بين حاكم مقاطعة قسنطينة ومقاوول سطيف "كنزلاس" كانت السلطات الفرنسية تعتقل المواطنين بحجة التدابير الوقائية، ثم ترسلهم إلى معتقل الشلال بوصفهم محتجزين تحوم حولهم الشبهة ليقموا هناك ريثما يبت في أمرهم. وكان المقاوول كنزلاس يستقبلهم على رأس كوكبة من الجند على أنهم مسخرون للاستخدام في سد فلاح على بعد عدة كيلو مترات من المعتقل، وكان جمع كبير من المعتقلين يساقون يوميا إلى ذلك السد لصنع الطوب³، وتنقية وادي اللحم من الأحجار والأعشاب⁴. ويعودون بعد عمل شاق منذ طلوع الشمس حتى غروبها إلى مقر إقامتهم⁵. وهي إهانة ومؤامرة ضد المعتقلين لأجل إذلالهم وإهانتهم.

ويذكر بعض ممن اعتقلوا في هذا المعتقل أنه في يوم عيد الأضحى لسنة 1955 حيث تكرم أهل المسيلة تضامنا مع إخوانهم وأشقائهم المعتقلين بأكلات الكسكسي والدلاع واللحم، لكن الإدارة الفرنسية تركت تلك المأكولات أمام الشمس يوما كاملا ومكشوفة بدون غطاء، وفي المساء وزعتها على المعتقلين، بعد أن اختمرت وتعفنت بالجراثيم ويذكر محمد الطاهر عزوي:

(1) - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 09.

(2) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 37.

(3) - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 10.

(4) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 37.

(5) - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 09.

" أن أغلب المعتقلين أصيبوا بتسمم حاد، فسقط العشرات راحوا يهرولون نحو العيادة والكثير منهم يتساقطون بسبب الأوجاع والآلام الحادة والجنود الفرنسيين يتفرجون ويتلذذون بآلام الغير"¹.

2- صور من النضال في المعتقل:

ومن أهم صور النضال داخل معتقل الشلال ذلك التضامن بين المعتقلين والتحدي للإدارة الفرنسية من خلال الموقف الموحد الذي اتخذ ابتداء من 09 جوان 1955 بعد اختيار قيادة من كبار المناضلين ممن عرفوا بممارسة السياسة ومعرفة أساليبها، حيث اتخذ قرار الإضراب عن العمل الإجباري في سد فلاح، والإضراب عن الطعام، والامتناع عن أي حركة، حيث أنه في صبيحة يوم 09 جوان 1955، خيم على المعتقل سكون غريب وصمت رهيب، على غير العادة فلا حركة ولا ظهور خارج الخيم، بل لم يرح المعتقلون أماكن نومهم في انتظار تطور الأحداث. وحينها أقبل الضابط مدير المعتقل مع جنوده يستفسر عن مغزى هذا الهدوء الغريب، ويتساءل لماذا لم يحضر العمال كالمعتاد؟ ولماذا تنعدم الحركة في المعتقل؟ فقام باستدعاء رؤساء الخيم، لكنهم امتنعوا الخوض في النقاش حول الموضوع، واكتفوا بأن المعتقلين في إضراب واحتجاج ثم استأذنوا وانصرفوا إلى خيمهم. وقرر الضابط منع التجوال في المعتقل وعدم مبارحة الخيم، الشيء الذي كان المعتقلون ملتزمين به من تلقاء أنفسهم، وكثف الحراسة ومضت أيام وتواصل الإضراب، ثم قرر استدعاء المعتقلين فرادى وجماعات من الجهة الواحدة لبث التفرقة، وغرس بذور الجهوية لكن كل ما قام به خاب أمام صمود وعزيمة المعتقلين على مواصلة الإضراب.

وفي اليوم السابع للإضراب طلب الضابط وفدا من المعتقلين لمقابلته وتم اللقاء وطرحت المطالب المتمثلة في:

- رفض عمل السخرة .
- تحسين الوضع داخل المعتقل.
- الاعتراف بالصفة السياسية للمعتقلين وهو الأهم. ووعد الضابط التفكير بجدية في الموضوع ولكن في الواقع لجأ إلى العنف ضد المعتقلين، حيث كان الجنود يخرجون المعتقلين من خيمهم بالقوة ويجبرونهم على الوقوف تحت أشعة الشمس المحرقة لمدة ساعات ثم يعيدونهم إلى أماكنهم

(¹) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 37.

بالضرب بأعقاب البنادق والسب والشتم، وما زادهم ذلك إلا عنمة وإصرارا، وازداد الوضع تأزما والموقف صلابة¹.

ومن بين الشخصيات التي خططت لذلك الإضراب المحكم المناضل مسعود بوقادوم²، حيث يعرف الضابط مواقفه ولذلك شك في الأمر، وحاول التقرب منه بهدف التأثير في زملائه لإنهاء الإضراب، وتغيير مجرى الأحداث، ولكن الرجل أبي وأبى من حوله المعتقلين الذين كانوا متحدين متضامنين على مبدأ واحد. وراح الضابط بعد فشله في إنهاء الإضراب يصب جام غضبه على المناضل مسعود بوقادوم محملا إياه مسؤولية ما يجري داخل المعتقل، ومما قام به هذا الضابط ضد المناضل مسعود بوقادوم إجباره على الوقوف لمدة طويلة تحت العلم الفرنسي، تحت أشعة الشمس الحارقة قائلا له : " أعتز أن هذا العلم الذي لم تقر بسيادته على هذه البلاد قد نفعلك يوما فوقاك حر الشمس. " فأجابه المناضل بوقادوم: " يؤسفني أنه ضيق الرقعة، لا يتسع لإظلال شخصي، فكيف يظل شعوب بأسرها³.

تواصل الإضراب وبدأت آثاره تبدو على صحة المعتقلين، وحمل بعضهم إلى المستشفى، وتسرب خبر الإضراب إلى خارج المعتقل وشاعت المأساة، وأذاعت يومية " لادبيش القسنطينية " الخبر متسائلة ماذا يجري بمعتقل الشلال؟⁴ وتدخلت السلطات وما الرسالة التي بعث بها رئيس دائرة سطيف المؤرخة في 22 جوان 1955 إلى المتصرف الإداري لبلدية المسيلة المختلطة إلا دليل على الحالة المتردية للحياة داخل المعتقل حيث يطلب فيها إجراء تغييرات حول سيرورة النظام في معتقل الشلال من النواحي التالية:

- تنظيم المركز.
- التزويد بالمياه الشروب.
- التزويد بالعتاد.
- توزيع اليد العاملة حسب الكفاءة.
- التزويد بالعتاد لإنجاز الأشغال⁵.

(¹) - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 12.

(²) - مسعود بوقادوم: أحد رجالات الحركة الوطنية، حيث انضم إلى ح.إ.ح.د وهو طالب بباريس، تولى مهام حزبية عديدة داخل الحركة، انتخب نائبا في البرلمان الفرنسي بإسم حركة الانتصار، ألقي عليه القبض سنة 1955. وهو أحد معتقلي الشلال، توفي مؤخرا.

(³) - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 14.

(⁴) - المصدر نفسه، ص 14.

(⁵) - A.C.M.M, Boite N° 98, Dossier N° 01.

وحاولت إدارة المعتقل عرض أنصاف حلول، ولكن أمام صلابة الموقف اضطرت السلطات إلى الاعتراف بالصفة السياسية للمعتقلين، كما توقف المعتقلون عن عمل السخرة وبالتالي تبخر مشروع كنز لاس حيث توقفت الأشغال في سد فلاح واستؤنفت الحياة بشكل عادي ومقبول نوعاً ما¹.

نهاية معتقل الشلال ونقل المعتقلين إلى الجرف:

في أمسية يوم الثالث وليلة الرابع من شهر أوت 1955 حلت عاصفة هوجاء على المنطقة؛ حيث اشتدت فيه الحرارة حتى أصبح المعتقلون يلهثون من قلة الماء وشدة الحرارة، وبدأ يتكون سحاب أسود اللون بعيداً مشوباً بالحمرة، يتراكم آت من الشمال ويقترب من المعتقل. وماهي إلا دقائق فإذا مقدمات الزوابع الرملية تشتد وتطغى وتقترب، ثم تحولت إلى عاصفة قوية مصحوبة ببعض الأمطار ازدادت قوة والكل تمسك بتلك الخيم ولكن العاصفة اقتلعتها ومزقتها كلها وكان عددها آنذاك 75 خيمة، فتمسك المعتقلون ببعضهم مثنى مثنى، وثلاثة ثلاثة وقال أحد المعتقلين واصفاً ما جرى: " لا نرى بعضنا، الكل ساقط على الأرض، ولا نسمع إلا صفير الصفائح القصديرية التي اقتلعتها من على سقوف البيوت التي يسكنها الحراس حاملة كل ما أعترضها في الطريق، من أمتعة المعتقلين وتمسك الرجال ببعضهم، ولا أحد يستطيع أن يرفع رأسه قيد شبر عن وجه الأرض، ويرى أمتعته أخذتها العاصفة ولا يستطيع أن يمد يده ولا أن يرفع رأسه، وقد اشتد صفير الأشياء التي تمر فوق الرؤوس على الأرض وتحصد كل مل تجده أمامها".²

وقال فيها معتقل آخر شعراً واصفاً إيها بالليلة الليلاء:

وليلة شؤم يخلع القلب هولها أتاحت على شلالنا بالعوادي
فلا تسمع الآذان إلا تزججرا ولا تنظر العينان غير السواد
وإلا دعاء أرسلته حناجر تمد به نحواً لسماء الأيادي
تذكرنا والحال حال تخشع بما أخبر القرآن عن ربح عاد³.

وبعد أن هدأت العاصفة أطلق الحراس صفارة الإنذار فذهب كل واحد إلى مكان خيمته التي اقتلعت نهائياً أو مزقت كلياً، لإجراء عملية الإحصاء، وتشير بعض المصادر إلى فرار

(¹) - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 14.

(²) - محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 38.

(³) - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 17.

بعض المعتقلين مستغلين تلك العاصفة على غرار المناضل المعتقل أحمد منصوري¹ وبعض رفاقه الذين فروا من المعتقل والتحقوا بجيش التحرير الوطني بـجبال أولاد سلطان بالمعاضيد.² وبعد إبلاغ السلطات بما حدث اتخذت الإجراءات اللازمة لإخلاء معتقل الشلال الذي لم يبق منه إلا الاسم وإحلاء المعتقلين إلى مكان آخر وقررت السلطات ترحيل المعتقلين إلى معتقل الجرف ولكن بعد تهيئته.

وخلاصة القول أن المعتقلات التي أقامتها السلطات الفرنسية بهدف عزل المناضلين والوطنيين عن المد الثوري، أصبحت معاقل للنضال التحرري؛ إذ أتاحت الفرصة للقاء والتواصل بين مختلف المناضلين والوطنيين وعامة أفراد الشعب الذين جيء بهم من مختلف مناطق الوطن لتبادل الآراء والأفكار والتواصي بدعم الثورة وتحمل المشاق والصعوبات من أجل استقلال الجزائر.

(¹) - أحمد منصوري: عضو في جمعية العلماء المسلمين، التحق بالثورة في بدايتها، حيث كان يقوم بجمع المؤونة والذخائر وجلب الأخبار ومراقبة تحركات الاستعمار الذي حط بقواته في مدينة مسقط رأسه مشونش بالأوراس وقد واصل عمله النضالي حتى أُلقي عليه القبض في 05 جويلية 1955 وسُيق إلى مركز الاستنطاق والتعذيب ثم نُقل إلى معتقل الشلال بالمسيلة، لم يمكث به طويلا حيث استغل العاصفة التي اجتاحت المعتقل في بداية أوت 1955 وفرّ مع بعض زملائه.

(²) - جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس بباتنة، **شهداء منطقة الأوراس 1954-1962**، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2002، ص 600.